

تأثير التقنية والتكنولوجيا في بناء الإستراتيجية العسكرية

الأستاذ: د. هاني أبو

معهد الحقوق والعلوم السياسية

المركز الجامعي تيسمسيلت

ملخص

تعمل هذه الدراسة على تقديم رؤية أو إطار نظري حول طبيعة مفاهيم ومضامين الإستراتيجية العسكرية المعاصرة وعلاقتها بالعقيدة العسكرية ومدى تأثير التقنية والتكنولوجيا الحديثة المستخدمة في مجال الدفاع وخوض الحروب على العقائد العسكرية للدول التي تعنى بمستقبل القوات المسلحة وكيفية إدارتها، وكذا صياغة الاستراتيجيات الحربية وسير العمليات العسكرية أثناء الحروب.

يحتل موضوع الإستراتيجية العسكرية مكانة معتبرة لدى المؤسسات الرسمية للدولة وكذا الدوائر البحثية والأكاديمية المهتمة بهذا الشأن وهذا راجع إلى عدة اعتبارات لعل أهمها، الدور الجوهرى الذي أصبحت تضطلع به الإستراتيجية العسكرية، فيما يتعلق بتحديد المبادئ والأسس العامة في مجال الدفاع وخوض الحرب، والعمل على تحقيق أهداف السياسة العليا للدولة للحفاظ على كيانها وأمنها وضمان استمرار فاعليتها على مستوى النسق الدولي. ورغم قدم موضوع الإستراتيجية العسكرية في التاريخ، إلا أن تطورها كان مرتبطا بظهور الدول القومية. كما ساهمت الحروب والأسلحة والتقنية المستخدمة فيها في تطور الإستراتيجية العسكرية. فقد كان للثورات التي حدثت داخل الشؤون العسكرية تأثيرا على مسار الإستراتيجية العسكرية، مثل ثورة البارود في القرن الخامس عشر، وثورة السلاح النووي في القرن العشرين.

كما يمكن إرجاع اهتمام الدول بالإستراتيجية العسكرية، والعمل المستمر لبنائها وتطويرها وتسخير الموارد والإمكانات الضرورية لضمان كفاءتها ونجاحها، إلى طبيعة العلاقات التي تحكم الوحدات السياسية ببعضها البعض. فعلى الرغم من وجود مظاهر التعاون والتكامل والاعتراف بسلطة القانون الدولي، إلا أن العداء والخوف وانعدام الثقة بين هذه الكيانات، هي مظاهر أخرى تسود هذه العلاقات وهذا ما يفسر جانبا من جوانب اهتمام الدول بالإستراتيجية العسكرية، والبحث عن القوة وتطوير قدراتها العسكرية والدخول في تحالفات لضمان أمنها القومي وتحقيق مصالحها الوطنية، لذا أصبحت الإستراتيجية العسكرية وسيلة تستخدمها الدولة لتحقيق غاياتها المختلفة.

الإستراتيجية ودورها في العلم العسكري: إن أكثر المسائل المثيرة للجدل والنقاش والاختلاف في الآراء مشكلة التعريف بالمصطلحات وعلى وجه الخصوص في العلوم الإنسانية والاجتماعية والعسكرية. إذ يختلف خبراءها ومنظورها في إعطاء التعريفات المحددة للمصطلحات المراد معرفة ماهيتها وتحديد الإطار العام لها. وينبع هذا الاختلاف من أسباب عدة، لعل أهمها اختلاف المشارب الأكاديمية لهؤلاء المفكرين أو لاعتماد كل منهم على منهج أو إطار محدد، أو من خلال التركيز على عامل واحد متعلق بهذا المصطلح أو الظاهرة الاجتماعية المراد تفسيرها.

1- تعريف الإستراتيجية: يعتبر مفهوم الإستراتيجية من المفاهيم المتداولة في العلوم الاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية، والتي تستخدم للدلالة على أكثر من معنى واحد. فكلمة إستراتيجية وصف إستراتيجي تستخدمان استخداما واسعا من قبل الباحثين والمتخصصين في شتى العلوم، دون تحديد واضح لمعناها أو تعريف لأبعادها فمصطلح إستراتيجية STRATEGY مشتق من كلمة يونانية STRATOS بمعنى جيش وحشد ومن مشتقات هذه الكلمة أيضا STRATEGOS والتي تعني فن القيادة وقد أُلّف القائد الروماني "سيكستوس

أليونيس" عام 100م كتابا باسم STRATEGEMATON جمع فيه عمليات الخدع العسكرية وتضليل العدو عن طريق تنفيذ مخطط غير ذلك المعلن⁽¹⁾. فالإستراتيجية تعبير ذو أصل عسكري، ومن الناحية التاريخية ارتبط لفظ الإستراتيجية بالحرب وإدارتها وعندما ظهر علم الحرب أصبحت إستراتيجية الحرب فرعاً من فروعها وهكذا مر تعريف الإستراتيجية في المجال العسكري بأكثر من مرحلة ففي البداية كان من أشهر التعريفات وأكثرها ذيوها تعريف المنظر العسكري الألماني "كارل فون كلاوزفيتز" الذي قال "إن الإستراتيجية هي استخدام الاشتباك وسيلة للوصول إلى هدف الحرب"⁽²⁾. أي أن الإستراتيجية تضع مخطط الحرب، وتحدد التطور المتوقع لمختلف المعارك التي تتألف منها الحرب، كما تحدد الاشتباكات التي ستقع في كل معركة. وعرفها الجنرال "ليدل هارت" على أنها فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة⁽³⁾. كما قدم "مولتكه" تعريفاً أوضح وأفضل عندما قال بأن الإستراتيجية هي عملية الموازنة الصحيحة للوسائط الموضوعية تحت تصرف القائد لتحقيق الأهداف.. هذا ويستند "أندري بوفر" في تعريفه للإستراتيجية إلى عنصر القوة بمفهومها الشامل عندما قال بأن الإستراتيجية هي فن استخدام القوة للوصول إلى هدف السياسة. وهناك تعريف آخر "لفوندر غولتز" **Vonder Goltz** يقول أن الإستراتيجية تشغل نفسها عموماً بالإجراءات ذات النظام العام التي تخدم دفع القوات إلى العمل في الجبهة الحاسمة تحت أفضل الظروف الملائمة⁽⁴⁾. كما يستخدم البعض الإستراتيجية للإشارة إلى جدلية الإرادات المتقابلة التي تستخدم القوة بمعناها الشامل الذي يتضمن الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والدعائية وغيرها من الأبعاد، لفض ما ينشأ بين الدول من نزاعات أو لتحقيق الأهداف القومية. وعند دراسة استخدام القوة المسلحة في العصر النووي، يذهب بعض المفكرين في مجال الإستراتيجية إلى أن وظيفة الإستراتيجية الرئيسية في هذا العصر هي منع قيام الحروب، والحفاظ على السلام وذلك من خلال الردع **Deterrence** فإذا كانت الإستراتيجية في الماضي تعني الاستعمال الماهر للقوة فإنها تعني الآن الاستعمال الماهر لعدم استخدام القوة، وهي عدم خوض الحرب. ومن ثمة إعادة النظر في العبارة الشائعة عن أن الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى، وذلك لأن الأسلحة النووية قد جعلت من الحرب الشاملة أمراً بعيد الوقوع⁽⁵⁾.

إذن يؤخذ على التعريفات التي ذكرت أنها تضيق من نطاق مفهوم الإستراتيجية وتربطه بالمعارك والحروب ومن ثمة تبدو الحروب وكأنها الأسلوب الوحيد لتحقيق الأهداف الإستراتيجية للدولة، وبالتالي هذه التعريفات لا تمثل إلا جانب من جوانب الإستراتيجية. في الواقع أن الإستراتيجية تستخدم للدلالة على الهدف الذي ينشده الفعل إلا أن هذه الأفعال بحاجة إلى ضبط وتنظيم وتنسيق، أي وجود خطة وتوفير الوسائل التي تعين عملية التخطيط. إلا أن عملية الجمع بين الهدف والوسيلة من خلال التخطيط تفترض بدورها توفر عنصر آخر يتمثل في القدرة على استخدام الوسائل لإنجاز أهداف محددة، لذا فالفعل الإستراتيجي ولكي يكون هادفاً ومؤثراً فإنه ينطوي على فن استخدام المتاح من الوسائل والإمكانات وصولاً إلى الأهداف⁽⁶⁾. وبهذا تكون الإستراتيجية عبارة عن خطة شاملة تنطوي على فن استخدام الموارد المتاحة لبلوغ الأهداف، فهي نمط من التفكير يفتح السبيل إلى تحقيق غايات السياسة على خير وجه.

لذا يمكن تعريف الإستراتيجية على أنها مجموعة من الأفعال التي تدرس، تحلل وتقيم الاختيارات المتاحة للدولة في كل موقف، وكيفية استخدام الإمكانيات والموارد المختلفة لتحقيق الأهداف الحرب، بما في ذلك طرح الأهداف البديلة الممكنة على ضوء الظروف المتغيرة، فلكل موقف إستراتيجية ولكل هدف إستراتيجية تتلاءم معه⁽⁷⁾، وهي ترتبط بالعقيدة السياسية والفلسفة الاقتصادية والاجتماعية التي تحكم المجتمع، وعلى هذا فإن لكل دولة إستراتيجية تعبر عن سياستها، فالإستراتيجية تابعة للسياسة ونابعة منها فالسياسة هي الوسيط الذي ينشأ فيه الفعل الإستراتيجي. فهي علم وفن استخدام الوسائل والقدرات المتاحة، في إطار عملية متكاملة يتم الإعداد والتخطيط لها بهدف خلق هامش من حرية العمل، يساعد صانع القرار على تحقيق أهداف السياسة في وقت السلم والحرب⁽⁸⁾.

2- دور الإستراتيجية في العلم العسكري: العلم العسكري هو علم وفن الوصول إلى مجموعة المبادئ والنظريات العسكرية السليمة، وإيجاد الأسلوب الأمثل لتطبيقها، وحل مشاكل بناء وإعداد القوات المسلحة ووضع الأسس الصحيحة لتطوير معادها العلمية لأغراض الصراع المسلح، في إطار نظام متكامل لمعرفة طبيعة وجوهر الحرب. لذا فالعلم العسكري يبحث في طبيعة وخصائص الصراعات المسلحة والحروب المقبلة والقوانين والمبادئ التي تخضع لها، وطرق إدارة الصراعات المسلحة كما يضع الأسس النظرية والتوصيات العملية لحل مسائل بناء القوات المسلحة وإعدادها للحرب المقبلة. وقد أدت صعوبة وتنوع طبيعة الصراع المسلح إلى ضرورة تثبيت فروع العلم العسكري المختلفة بشكل علمي دقيق أو بتعبير آخر تحديد مكان كل فرع من النظام العام للمعارف العسكرية المختلفة. وترتبط قاعدة التقسيم الحديث لفروع العلم العسكري ومستويات كل فرع بمستوى الأعمال العسكرية من جهة وبالفرع الرئيس للقوات المسلحة من جهة أخرى، وبذلك كان هناك العلم العسكري العام والعلوم العسكرية التخصصية لكل فرع من أفرع القوات المسلحة في إطار نظام متكامل للمعرفة العسكرية ولما كانت الحرب تخضع لقوانين ومبادئ عامة ثابتة ونظريات عسكرية اعتبرت علماً يجب دراسته شأنها في ذلك شأن العلوم الأخرى. ولما كانت تلك القوانين والمبادئ والنظريات التي تقوم عليها الحرب تحتاج إلى حكمة ومهارة وذكاء من القادة عند التطبيق بسبب الظروف المتغيرة التي تكشف عنها كل حرب، أصبح التخطيط للحرب وإدارتها يدخل ضمن الفنون⁽⁹⁾. وبشكل عام يهدف العلم العسكري كنظام متكامل لمعرفة لطبيعة وجوهر وأبعاد الحرب ككل والصراع المسلح، وصولاً إلى نظرية فن الحرب ومجموع النظريات الأخرى ووسائل تنظيم وإعداد القوات المسلحة وتطوير معادها وأسلحتها وبناء إستراتيجيتها على أسس سليمة وحديثة. وتحتل الإستراتيجية الدور القيادي في العلم العسكري، فهي تعالج موضوع تعبئة جميع القوى والموارد في الحرب، وتطوير المبادئ العامة لاستخدام الفروع المختلفة للقوات المسلحة والتنسيق بينها للحصول على هدف سياسي وعسكري واحد. يضاف إلى هذا أن الاستخدام الإستراتيجي لكل فرع من فروع القوات المسلحة يعطي عند ارتكازه على المبادئ الإستراتيجية صوراً وأساليب محددة، بمعنى أنه يضبط وينظم القوات المسلحة ويوجهها لتحقيق أهداف معينة وفق مراحل مدروسة بدقة.

وترتبط الإستراتيجية ارتباط وثيقاً بالعمليات والتكتيك، إذ أنها تقرر الهدف العام والقوى المستخدمة والوسائل والطرائق التي تتبع في حل المشكلات المتصلة بتحقيق الهدف ويمكن شرح الارتباطات المتبادلة بين جميع العناصر التي تتصل بالعلم العسكري والدور القيادي الذي تحتله الإستراتيجية بين هذه العناصر في ضوء الحقيقة الواقعة، وهي أن كل إنجاز فردي لا بد وأن يخضع إلى الهدف العام ويكون جزء منه⁽¹⁰⁾، ولعل هذا هو السبب الذي يفرض على المبادئ التكتيكية أن تتماثل مع الأهداف العملية كلها، وأن تكون الإستراتيجية بمثابة المرجعية التي تقرر كل الخطوات الإستراتيجية إذن تحدد مهمات الصراع المسلح ووسائله لفن العمليات والذي يعتبر كمنظريات وتطبيقات تحضير وإجراء عمليات الجبهات والجيش. كما يحدد فن العمليات بدوره مهمات التكتيك ووسائله، والذي يهتم بناحيتين أيضاً هما نظريات تحضير المعركة وتطبيقاته⁽¹¹⁾، كما تكمن مهمة الإستراتيجية في تتبع ودراسة القوانين القياسية للصراع المسلح، على أساس التحليل النظري لخبرة الأعمال الحربية التي تتم على المستوى الإستراتيجي مع مراعاة الظروف الحديثة للعمل الحربي. ومن مهام الإستراتيجية أيضاً دراسة ظروف وطبيعة الحرب المقبلة ومعالجة طرق وأشكال إدارتها. وبالتالي تحديد الاتجاه العام لتطور القوات المسلحة وتجهيزها للحرب⁽¹²⁾. ولا يمكن للاستراتيجية الحديثة أن تتطور دون مراعاة العوامل الاقتصادية والسياسية والفنية والعلمية، إذ يجب أن تعتمد في دلائلها على ما وصلت إليه علوم الرياضيات والطبيعة والكيمياء وغيرها من العلوم، حيث يستحيل بدونها حل مسائل تجهيز واستخدام القوات المسلحة في الحرب، لذا ترتبط الإستراتيجية ارتباطاً وثيقاً بالعلوم الأخرى.

علاقة العقيدة العسكرية بالاستراتيجيات الحربية:

غالباً ما يثار التساؤل حول معنى العقيدة العسكرية **Military Doctrine** ومضمونها والحدود التي تفصل بينها وبين الإستراتيجية العسكرية والعلاقة التي تربط بينهما. في البداية يمكن القول أن الإستراتيجية العسكرية تشتق من الناحية المفاهيمية من العقيدة العسكرية فلا إستراتيجية عسكرية بدون عقيدة عسكرية⁽¹³⁾. فالقاموس المعنى بالمصطلحات العسكرية عرفها على أنها جميع المبادئ والسياسات والأمور الفنية وأساليب التي بموجبها تتمكن القوات المسلحة من توجيه أعمالها. فهي تستنبط الأفكار والممارسات المتطورة التي يتفق عليها، سواء كانت نابعة من الخبرة العملية أم النظرية⁽¹⁴⁾. كما عرفها المارشال الروسي "سوكولوفسكي" بأنها "جملة وجهات النظر العلمية المدروسة التي تتبناها الدولة بالنسبة إلى الأمور الأساسية والجذرية للحرب"⁽¹⁵⁾. وعرفها "تروفور ن. دوبي Tervor N.Dupy" كما يلي "هي مفهوم متفق عليه في كيفية استخدام نظم التسليح الجديد..... وتشمل المبادئ، السياسات والمفاهيم المترابطة ضمن نظام يهدف إلى التحكم في كل عناصر القوات المسلحة في المعركة، وضمان التنسيق المستمر بين جميع هذه العناصر"⁽¹⁶⁾. فالعقيدة العسكرية هي السياسة العسكرية المعبرة عن وجهات النظر الرسمية للدولة، والمتعلقة بالمسائل والقواعد الأساسية للصراع المسلح والمتضمنة لطبيعة الحرب وطرق إدارتها. وهي نتاج مركب لأبحاث علمية تشمل كافة الأنشطة الحيوية للدولة، وتحدد مجالات تطور فن الحرب بمستوياته الإستراتيجية والتعبوية والتكتيكية، ومن المهام الأساسية للعقيدة العسكرية وضع أو تحديد الاتجاه الأساسي للبناء العسكري للدولة. وهي دائماً تنظر للمستقبل للتجاوب مع كل ما هو جديد في العلم العسكري⁽¹⁷⁾. وتعتبر العقيدة العسكرية صورة للأفكار التي تعتنقها الدولة بخصوص مسائل التقدير السياسي للحرب المقبلة، وهي نتاج تفاعل تاريخي طويل ومعقد للأفكار والآراء في ميدان الدفاع عن الدولة، والأوضاع الرئيسية للعقيدة العسكرية تحددها القيادة السياسية بناءً على اعتبارات عديدة⁽¹⁸⁾.

إن محتوى العقيدة العسكرية هو محتوى تاريخي في طبيعته، يتغير تبعاً للتغيرات الجذرية في الأفكار السياسية والعسكرية، فالحرب قد تختلف اختلافاً كبيراً في أسسها وطبيعتها وأهدافها السياسية، كما تختلف في مداخلها ووسائلها وأساليب إدارتها. وعادة ما توضع أحكام العقيدة العسكرية في وقت السلم، حتى تتاح فرصة اختبارها وتجريبها أثناء الحرب. كما تحدد العقيدة العسكرية الاتجاه الأساسي للبناء العسكري للدولة، ومطالب إعدادها للدفاع تحديداً واضحاً وسليماً، وهي ذات طبيعة عامة حتى لا تقيد الفكر العسكري بمبادئ جامدة غير قابلة للتطور⁽¹⁹⁾.

هناك وجهين للعقيدة العسكرية وجه سياسي يرتبط بالمبادئ ذات الصبغة السياسية التي تعالج المسائل المتعلقة بالصراع المسلح والتطور العسكري ككل، وهي تشكل الأساس السياسي للعقيدة العسكرية. وهناك وجه عسكري يتمثل في مجموع المبادئ ذات الصفة العسكرية الخاصة، التي تعالج المسائل المتعلقة بإعداد واستخدام القوات المسلحة في الحرب وتحديد مجالات تطور فن الحرب بمستوياته المختلفة، بالإضافة إلى تطوير نظام تزويد القوات المسلحة بالمعدات الحربية. كما يمكن التنويه إلى أن محتويات العقيدة العسكرية التي ذكرت بوجهيها السياسي والعسكري قابلة للتغيير والتطوير، أما أسس العقيدة العسكرية فنادر ما تتغير لأنها تعتبر عملاً تاريخياً يرتبط بوجود الدولة وكافة أنشطتها الحيوية⁽²⁰⁾. أما الاستراتيجية العسكرية فتتصرف إلى تحديد مجالات استخدام القوة العسكرية. بمختلف أصنافها القتالية، وبهذا فهي تأخذ شكلاً دفاعياً أو هجوماً أو تكتفي بالتهديد باستخدام القوة العسكرية على سبيل الردع.

إن دراسة الإستراتيجية العسكرية هي محاولة لشرح كيفية إدارة القوات المسلحة وتنظيمها في أحسن الظروف لمواجهة التحديات بهدف تحقيق الفوز في الحروب أو منعها لذا فهي شرط ضروري للقادة السياسيين والعسكريين⁽²¹⁾. وفي ضوء العقيدة العسكرية للدولة فإن الإستراتيجية العسكرية تبحث في الأساليب والوسائل المتعلقة بنظام إعداد الدولة للحرب الذي يمنحها القدرة على تأمين إقليمها وردع العدو وتحقيق النصر في أقل وقت

ممكّن والصمود في الحرب الطويلة والتقليل من الخسائر الناجمة عن ضربات العدو ومبادئ التخطيط الإستراتيجي للأعمال القتالية وأساليب إدارة الصراع المسلح، وكيفية بناء القوات المسلحة وأساليب تطويرها بغرض تحقيق الأهداف والمهام الإستراتيجية لجميع فروع القوات المسلحة، بالإضافة الى مبادئ الدفاع المدني والتعبئة العامة للشعب ومعرفة وجهات النظر الإستراتيجية للأعداء المحتملين⁽²²⁾. ودراسة الأمور المتعلقة باحتياجات القوات المسلحة في الحرب من إمدادات وصناعات حربية وخطوط المواصلات. مع الأخذ بعين الاعتبار مسألة القيادة الإستراتيجية للحرب وتنظيم وإدارة القوات المسلحة والتنسيق بين الوحدات القتالية على الجبهة، ومن هنا يتضح أن مجال الإستراتيجية العسكرية هو أضيق من مجال العقيدة العسكرية. فالأخيرة هي التي تبني الإستراتيجية العسكرية وتوجهها وتحدد مبادئها وأهدافها، فهي تبحث فيما ينبغي أن تكون عليه القوات المسلحة في مجال بناءها العقائدي وجاهزيتها القتالية⁽²³⁾. وتبرز أهمية وفعالية أي إستراتيجية عسكرية فقط في نتائجها، أي عندما تطبق على أرض الميدان، وتحقق الأهداف التي وجدت من أجلها.

ويقول "نابوليون بونابارت" وهو يشير إلى قواعد التفكير السليم للإستراتيجية العسكرية "إنها فن بسيط ولكنه ينتمي برمته إلى التنفيذ"، وهذا ما يبرز أهمية التطبيق في العلم العسكري، لأن عدم تحقيق الأهداف المسطرة لأي إستراتيجية عسكرية يعني فشلها وبالتالي إعادة النظر في كيفية صياغة إستراتيجية جديدة بناء على النقائص التي كانت في سابقتها⁽²⁴⁾.

كما تختلف العقيدة العسكرية من دولة إلى أخرى باختلاف قدراتها وإمكانياتها ودوافعها، فبقدر قوة وفعالية العقيدة العسكرية للدولة تتحدد مجالات حركتها وقدرتها على التأثير وفرض إرادتها على الدول الأخرى، ولا يقتصر التقييم الشامل لقوة وحدود عمل العقيدة العسكرية لدولة ما على تقييم القوات المسلحة فقط، لكنه يمتد إلى عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية تحدد مقدار الدعم الذي يمكن للمجتمع أن يقدمه للقوات المسلحة و تتحدد العقيدة العسكرية للدولة بناء على عدة عوامل أهمها الموقع الجغرافي وأهميته الجيوبوليتيكية والموارد الطبيعية وقدرتها على توفير الاحتياطات المادية بالإضافة إلى الموارد البشرية وطبيعة المجتمع الذي تنتمي إليه. ومستوى التقدم التكنولوجي والعلمي وانعكاساته على مدى توفر المعرفة داخل المجتمع، والقدرات العسكرية والتسليحية ومدى تطور الصناعات الحربية، بالإضافة إلى خصائص القيادة وقدرتها على الإقناع والسيطرة، مع اعطاء أهمية إلى طبيعة النظام السياسي للدولة ومدى إتساقه مع قيم وعقائد الشعب⁽²⁵⁾.

الثورة في الشؤون العسكرية وتأثيرها في إعداد وبناء الاستراتيجيات الحربية

إن مصطلح الثورة في الشؤون العسكرية RMA ظهر في المفردات العسكرية في سنوات التسعينات وذلك بتحريض من أحد مسؤولي البنتاغون في الولايات المتحدة الأمريكية وهو **Ander W. Marshal** بحيث وقف مع الفكرة القائلة بأن الثورة العميقة التي نتجت عن التحديدات التقنية سيكون لها نتائج مذهبية **Doctrinales** كبيرة، أما الثورة في الشؤون العسكرية فقد كان موضوع لتقرير سري في عام 1992 ثم تم نشره في السنة التالية. إن الفكرة الأساسية للمفهوم تركز على أن الحرب قد تغيرت بشكل جذري فيما يتعلق بطريقة وآلية عملها أو بطبيعتها، لاسيما بعد إدخال وسائل جديدة في المراقبة وبناء جيوش لها قدرات كبيرة ودقيقة في نفس الوقت، مما فرض تغيرات مذهبية وعملية في الشؤون العسكرية. وقد عرف "اندرو مارشال" الثورة في الشؤون العسكرية على أنها قد تغيرت عميق في طبيعة الحرب، تم بفعل استنباط تطبيقات جديدة للتكنولوجيا الجديدة ترتبط بالتغير العميق في العقيدة العسكرية والمفاهيم العملية والتنظيمية التي أحدثت أثر عميق في طبيعة وتسيير العمليات العسكرية. ويرى "أندرو كريبنفيس **Andrew F.Krepinovich** بأن الثورة في الشؤون العسكرية هي ما تحدثه تطبيقات التكنولوجيا الجديدة داخل عدد معتبر من النظم العسكرية مع إبداع مفاهيم ميدانية وتنظيمية وضعت أو تكيفت بالشكل الذي يغير في عمق خصائص وإدارة النزاع⁽²⁶⁾. كما عرفها "كولن جراي" **Kolin Gray** على أنها ذلك التغيير الجذري الذي يمس طبيعة الحرب وطريقة قيادها، مع زيادة القدرات العسكرية ومدى فعاليتها⁽²⁷⁾.

هذا ويرتبط مصطلح الثورة في الشؤون العسكرية بثلاث دلالات الأولى تعبر عن أن مفهوم الثورة في الشؤون العسكرية ينطوي على الثورة التكنولوجية التي أثرت بشكل كبير على صناعة الأسلحة والعتاد الحربي بشكل عام، كإدخال تكنولوجيات صغيرة على أسلحة ومنصات موجهة بدقة، والتي أوجدت تغييرا كبيرا في سير الحرب التي تميزت باستخدام تكنولوجية المعلومات (التقنية المعلوماتية) على أساس القيادة والتحكم والاتصالات وأجهزة الكمبيوتر والاستخبارات ونظم الاستطلاع، وتغييرات جوهرية في المفاهيم التشغيلية. والثانية مفادها أن الثورة في الشؤون العسكرية هي نظام يستخدم فيه تقنية النظم المعلوماتية لمعالجة المعلومات، من أجل ربح الوقت والجهد في تنفيذ العمليات العسكرية جنبا إلى جنب مع التقدم في الخطط والاستراتيجيات العسكرية والتكتيكات العملية واستخدامها عند الضرورة. أما الدلالة الثالثة فتشير إلى أن الثورة في الشؤون العسكرية أدت إلى نهج ثوري وتغير جذري في الفكر والنظريات العسكرية، فضلا على هيكلية القطاعات المسلحة، أي أنها نوع من الانقلاب العسكري وهي مختلفة تماما على التكنولوجيات التقليدية السابقة⁽²⁸⁾.

مضمون الثورة في الشؤون العسكرية: هناك ثلاثة عناصر رئيسية تركز عليها الثورة الجديدة في الشؤون العسكرية هي:

1- نظم المعلومات: وتشمل مجموعة واسعة من الأجهزة والبرمجيات وأجهزة الكمبيوتر والاستشعار والأقمار الاصطناعية والاتصالات اللاسلكية، وتكييفها مع الاستخدام العسكري. هذه الخصائص التكنولوجية تعطي تفوقا إستثنائيا للقوات المسلحة وتساعد على الرد بسرعة على أي عدو مضاد وحرمانه من قدرة المناورة وتمكن من تنفيذ عمليات أدق وأكثر فعالية⁽²⁹⁾.

ونظم المعلومات يحتاج إلى جهود منسقة بين القوات المسلحة في الميدان والقيادة المركزية وتشمل خمسة عناصر أساسية، تتمثل في عمليات الخداع العسكري والعمليات الأمنية والحروب الإلكترونية وعمليات الشبكة أو كما تسمى حرب الشبكة المركزية NCW والتي تقوم على وصل الأنظمة الدفاعية المختلفة بمساعدة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات الحديثة، فهي تساعد على اتخاذ قرارات في وقت صغير وتوفر مبدأ المبادرة والمبادأة وهذا ما يجعلها مهمة لمستقبل الحروب فهي تساعد على اختراق نظم المعلومات المتوفرة للعدو وتعطيل عتاده ومن ثم السيطرة عليه⁽³⁰⁾. وتتكون شبكة الحرب المركزية من ثلاث شبكات هي:

أ- شبكة المستشعرات: وهي تتكون عمليا من مختلف أجهزة المراقبة والاستطلاع والرادارات. بمختلف أنواعها، وأجهزة التنصت والمراقبة التلفزيونية وأنظمة البصريات الإلكترونية، مثل الرؤية الليلية الحرارية وأنظمة المكثفات الضوئية.

ب- شبكة المعلومات: التي تكون معظم مكوناتها منتشرة في الوقت الراهن وتشتمل على أجهزة الساتل للاتصالات، حزم نقل البيانات والمعلومات والتخابر، أجهزة كمبيوتر متطورة ومراكز قيادة حديثة. من مهمات شبكة المعلومات نقل بيانات المستشعرات، الإيعازات والأوامر الميدانية، المعلومات الإستخباراتية، ومعلومات آنية حول العمليات واللوجستية، ووظائف أخرى. وهي معلومات يحتاجها القادة على مختلف مستوياتهم لتخطيط العمليات بكفاءة عالية ومراقبة تنفيذها والتحكم بها بمرونة.

ج- شبكة التعامل أو الاشتباك: وهي تسيير شبكة المستشعرات وشبكة المعلومات بهدف ربط الأسلحة المنضوية فيها بأهداف مناسبة، ومن ثم توجيه تلك الأسلحة لإصابة الأهداف⁽³¹⁾. ونظم الأسلحة التي يمكن أن تحتويها شبكة التعامل هي في تزايد مع تطور تصميم الشبكة، وتشمل لائحة الأسلحة البرية التي بوسعها الارتباط مع الشبكة مثل نظام الصواريخ التكتيكية للجيش الذي يمكنه إطلاق صواريخ برؤوس حربية تحتوي قنابل عنقودية ذكية مضادة للدروع، بالإضافة إلى أسلحة المدفعية المزودة بذخائر ذكية والدبابات الحديثة من نوع "أبرمز" M1-A2، وتشمل اللائحة أيضا السفن المزودة بمدافع 5 إنش/62 التي تستعين بنظام (GPS) لإصابة الأهداف.

2- الإبداع العملياتي: يحدث هذا النمط نتيجة حصول إبداع في تنظيم الجيش لتجاوز معضلات إستراتيجية في المجال العسكري⁽³²⁾، وهذا بالاعتماد على وسائل تقنية جديدة من شأنه أن يجعل القوات المسلحة أقل عددا وأخف وزنا وأكثر فتكا، بالإضافة إلى التقليل من الاعتماد على الخدمات اللوجستية، واستخدام الروبوتيات بمختلف أصنافها، وغيرها من الابتكارات فيما يخص العقيدة والتنظيم والمعدات، وبالتالي إنشاء نموذج جديد تماما للقتال، بالتنسيق مع القيادة العسكرية التي تكون على اتصال مباشر مع القوات في ميادين العمليات وهذا ما يعطي الفعالية والقدرة على الاستجابة بصورة أسرع من أي عدو آخر⁽³³⁾.

3- تكنولوجيا الأسلحة: بالإضافة إلى عنصر تكنولوجيا المعلومات أو كما يسميها الأميرال Owens بنظم الأنظمة هناك عنصر التكنولوجيا التسليحية، وهي تعتبر أحد الركائز الأساسية للثورة في الشؤون العسكرية والتي تتمثل في التطور الكبير الذي حدث على مستوى صناعة العتاد الحربي الذي مس جميع القطاعات العسكرية البرية والبحرية والجوية وهناك بعض الأمثلة للتوضيح:

أ- الصواريخ الموجهة: والتي يتم توجيهها إلى الأهداف باستخدام الليزر أو إحداثيات عبر الأقمار الاصطناعية مثل صواريخ "توماهوك" التي يمكن إطلاقها على أهداف بعيدة من السفن وحاملات الطائرات .

ب- ذخائر الهجوم المباشر: التي تطلق من قاذفات القنابل الإستراتيجية الموجهة بدقة.

ج- قذائف المدفعية: التي استخدمت في حرب الخليج الثانية عام 1991، والتي أصبحت أكثر انتشارا وهي تتميز بالدقة في الأهداف، ولها القدرة على التمييز بغرض تجنب سقوط المدنيين أثناء القصف.

د- المركبات الجوية وأجصرق الساتل: التي يكون هدفها تقديم المعلومات وتوجيه القيادة.

هـ- أنظمة الرادار: مثل نظام JSTARS وهو نظام المراقبة المحمولة جو أرض له القدرة على الرؤية وتتبع الأهداف في أحوال الطقس السيئة.

و- الصواريخ الروبوتية من دون هيوان: مثل طائرة "غلوبل هوك" التي لها القدرة على الطيران لمدة طويلة فوق مستويات مختلفة، إضافة إلى إطلاق صواريخ موجهة بدقة عالية⁽³⁴⁾.

بالإضافة إلى ما سبق هناك بعض الخصائص التي تتميز بها الثورة الجديدة في الشؤون العسكرية من أهمها القدرة على القتال عن بعد، وهي القدرة على استهداف قوات العدو من مسافات بعيدة بدقة وبدرجة مرتفعة من المنعة لوحداث الإطلاق من الجو أو البحر أو البر، السيطرة على الفضاء الخارجي، وهي القدرة على استخدام المعدات التي تطلق في الفضاء لجمع ونشر المعلومات لتمكين القوات في الميدان من الاتصال عبر مسافات بعيدة، كذلك الوصول الاستراتيجي، وهو القدرة على تجميع قوات هامة (وحدات رد سريع، وحدات العمليات الخاصة جماعات القتال المحمولة)، النقل الاستراتيجي، يتمثل في القدرة على تحريك قوات برية ضخمة عبر مسافات كبيرة، وهذا يعتمد على أساطيل النقل الجوي والبحري.

إن مفهوم الثورة في الشؤون العسكرية قدم في مراحل متعددة بشكل مغال فيه حتى أصبح البعض يعتقد أنه أكثر أهمية من الثورة التي صاحبت السلاح النووي، أما المعلومات فأصبحت من المفردات التي تضم بدقة إلى الإستراتيجية، بحيث أنها سمحت بإبعاد الشك وعدم اليقين من أمام كل من يستخدمها كما ساعدت في معرفة ماذا نهاجم؟، كيف؟ ومتى؟، حتى أن المرجع الأمريكي المتعلق بالعمليات FM100-5 سيضاف إليه ملحقا تحت اسم عملية المعلومات (FM100-6)⁽³⁵⁾. هذان المرجعان سيضعان في تنفيذ مفاهيم عملياتية جديدة كالمناورة الكبرى، والتي تؤسس على القدرة في السيطرة على المعلومات والحركة والالتزام الدقيق، وفيه تحدد الوحدات أهدافها وكيفية الوصول إليها بجهد أقل، والحماية الكاملة التي تضمن الحرية في الفعل وتقدير الخسائر.

استخلاصات

إن العقيدة العسكرية تبحث بما ينبغي أن تكون عليه القوات المسلحة في مجال بناءها العقائدي وجاهزيتها القتالية، وعلى هذا فهي تهتم بالقوات المسلحة من حيث تنظيمها وإمكاناتها ونوع تسليحها ومستوى تدريبها، بهدف تأمين كفاءتها القتالية في أي حرب تخوضها⁽³⁶⁾. من خلال وضع أفضل الاستراتيجيات الحربية الممكنة والتكنولوجية العسكرية هي واحدة من هذه الفروع، التي تهتم بها العقيدة العسكرية لتطوير قواتها المسلحة لأغراض دفاعية كانت أم هجومية.

إن التقنية المعلوماتية والتكنولوجيا التسليحية التي وظفت للاستخدامات العسكرية أحدثت انقلاباً داخل القطاعات العسكرية في مختلف فروعها بالإضافة إلى العلم العسكري ونظرياته، لأنها أي الشروة الجديدة في الشؤون العسكرية غيرت وبشكل كبير مفاهيم سادت لفترة طويلة في ما يخص طبيعة الحرب والتخطيط لها وصياغة الإستراتيجيات العسكرية لتحقيق أهداف محددة مسبقاً. لذا فمسايرة ومواكبة التطورات التقنية والتكنولوجية تعد من مرتكزات العقيدة العسكرية لتجسيد النظرية في التطبيق الميداني والعملي، وأخذ أبعاده السياسية بأسرع وأسهل الطرق⁽³⁷⁾. ويعتبر التوجه نحو القوة المشتركة هو الميزة الأكثر وضوحاً في العقيدة العسكرية المرتبطة بالثورة الجديدة في الشؤون العسكرية، بحيث أن القوات البرية والبحرية والجوية تتفاعل في أدائها ميدانياً بصورة أعمق وبشكل متزايد يوحي بأن الثورة الجديدة في الشؤون العسكرية تدفع إلى تعميق التكامل بين أفرع القوات المسلحة، وتجاوز المفاهيم الكلاسيكية في مهام كل فرع من القوات المسلحة، وتبين الدراسات أن التحول نحو القوة المشتركة يصب نحو اتجاه نحو العمليات المشتركة **Combined Operation**، أما الثاني فهو الاتجاه نحو إشراك جميع أفرع القوات المسلحة في العمليات العسكرية⁽³⁸⁾. مثال ذلك أن القوات المسلحة الأمريكية أصبحت تمتلك عناصر من تلك النظم الجديدة التي جاءت بها الثورة التكنولوجية، ففي البحرية الأمريكية هناك نظام يسمى القدرة في التعاون على التلاحم والذي يسمح لعديد من السفن الحربية على ضم راداراتها معاً في رادار واحد أكثر قوة، مما يسمح للقائد أن يتابع على الشاشة كل ما يجري على أرض المعركة⁽³⁹⁾.

المولم

- 1- عبد القادر محمد فهمي، المدخل إلى دراسة الإستراتيجية (الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ط. 1، 2006)، ص. 17.
- 2- كارل فون كلاوزفيتز، الوجيز في الحرب، ت. أكرم ديري، هيثم الأيوبي (لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. 2، 1988)، ص. 175.
- 3- ليدل هارت، الإستراتيجية وتاريخها في العالم، ت. هيثم الأيوبي (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط. 4، 2000)، ص. 276.
- 4- منير شفيق، علم الحرب (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. 2، 1975)، ص. 39.
- 5- مصطفى طلاس، مرجع سابق، ص. 387.
- 6- عبد القادر محمد فهمي، مرجع سابق، ص. 23-24.
- 7- علي الدين هلال، "مفهوم الإستراتيجية في العلو الاجتماعية"، الفكر الاستراتيجي العربي، ع. 4، (أفريل 1982)، ص. 7.
- 8- عبد القادر محمد فهمي، مرجع سابق، ص. 27.
- 9- صلاح الدين كامل محمد مشر، تأثير التكنولوجيا على الإستراتيجية العسكرية، مجلة كلية الملك خالد السعودية، ع. 81 (2005/06/01).

<http://haras.naseej.com/Detail.asp?InNewsItemID=101595>

- 10- سو كولوفسكي، الإستراتيجية العسكرية السوفيتية، ت. خيرى حماد (بيروت: منشورات عالم الكتب، ط. بلا، 1968)، ص 39 - 43.
- 11- مصطفى طلاس، مرجع سابق، ص. 408.
- 12- مجموعة من القادة السوفيت، الإستراتيجية الحربية، ت. محمد عبد الحليم أبو غزالة (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ط. بلا، 1961)، ص. 26.
- 13- عبد القادر محمد فهمي، مرجع سابق، ص. 40.
- 14- سوسن العساف، إستراتيجية الردع العقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة والاستقرار الدولي (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث و النشر، ط. 1، 2008)، ص. 163.
- 15- سو كولوفسكي، مرجع سابق، ص. 64.
- 16- محمد خوجة، الانعكاسات العسكرية والسياسية للثورة الجديدة في الشؤون العسكرية، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2006)، ص. 113.
- 17- محمد جمال الدين محفوظ، المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. بلا. 1976)، ص ص. 23- 25.
- 18- مجموعة من القادة السوفيت، مرجع سابق، ص. 72.
- 19- محمد جمال الدين محفوظ، مرجع سابق، ص. 24.
- 20- المرجع نفسه، ص 26.
- 21- Stephen J. Cimbala, Coercive Military Strategy (United States: Texas A & M University Press, 1998), P.03.
- 22- مصطفى طلاس، مرجع سابق، ص ص. 404 - 406.
- 23- محمد جمال الدين محفوظ، مرجع سابق، ص ص. 30 - 31.
- 24- محمد نصر مهنا، تطور السياسة العالمية والإستراتيجية القومية (القاهرة: المكتب الجامعي الحديث، ط. 1، 2007)، ص. 229.
- 25- عادل محمد سليمان، النظام الحربي العالمي الجديد، السياسة الدولية، ع. 145 (جويلية 2001)، ص. 227.
- 26- محمد خوجة، مرجع سابق، ص. 20.
- Strategy For Chaos :Revolution In Military Affairs And The Evidence Of History (London : Colin Gray, 27- Franc Cass ,2002), P.4'
- Emily o. Goldman, and Thomas G. Mahnken, the information revolution in military affairs in Asia (New 28- York: Palgrave Macmillan, 2004), p.125.
- Lifting The Fog Of War (New York: Farrar, Straus And Giroux , 2000), p p.97-98. Bill Owens, 29- Christopher Paul, Information Operations Doctrine And Practice (London: Praeger Security 30- International , 2008), P.23'
- 31- كمال مساعد، "حرب الشبكة المركزية نحو شمولية تقصي وتبادل المعلومات"، مجلة الجيش اللبنانية، ع. 247 (2006) <http://www.learmy.gov.lb>
- 32- محمد خوجة، مرجع سابق، ص. 25.
- 33- Thomas K. Adams, The army after next the first Postindustrial army (New York: Praeger security international, 2006), p p.11- 14.
- 34- Elinor Sloan, Military transformation and modern warfare (London :Praeger security international, 2008),p p.06'
- 35- تطبيقات الثورة في الشؤون العسكرية والسيطرة المعلوماتية، مجلة الدفاع الوطني، ع. 247. (2003/01/01/) <http://www.harassj.com>
- 36- عبد القادر محمد فهمي، مرجع سابق، ص. 41.
- 37- سوسن العساف، مرجع سابق، ص. 168.
- 38- محمد خوجة، مرجع سابق، ص ص. 116- 117.
- 39- الثورة في الشؤون العسكرية بين النظرية والتطبيق، مجلة كلية الملك خالد السعودية، ع. 68. (2002/03/01/) <http://www.kkma.bov.sa>